الخطب المنبرية

في التوحيد لعموم الأمة

الخطبة الثانية:

حقيقة التوحيد: إفراد الله بالعبادة

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

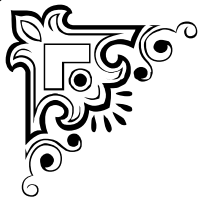

الْخُطْبَةُ الْأُولَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَالتَّوْحِيدُ أَسَاسُ دِينِنَا، وَهُوَ مَبْنَىٰ عَقِيدَتِنَا، وَنَحْنُ أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَىٰ أَنْ نَتَعَلَّمَهُ، وَإِلَىٰ أَنْ نَتَدَارَسَهُ، وَأَنْ نُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ، وَأَنْ نَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ.(*).

التَّوْحِيدُ -**عِبَادَ اللهِ**-: مَصْدَرُ وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا، أَيْ: جَعَلَهُ وَاحِدًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَىٰ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - السَّبْت ١٥ مِنَ الْمُحَرَّم ١٤٣٣هـ/ ١٠-١٢-٢٠١١م.

وَسُمِّيَ دِينُ الْإِسْلَامِ تَوْحِيدًا؛ لِأَنَّ مَبْنَاهُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ فِي مُلْكِهِ وَأَفْعَالِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ لَا نَظِيرَ لَهُ، وَاحِدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا نِدَّ لَهُ.

إِلَىٰ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ يَنْقَسِمُ تَوْحِيدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ.

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُ، وَخَالِقُهُ، وَرَازِقُهُ، وَأَنَّهُ الْمُحْيِي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيَنْفَعُ وَيَضُرُّ، وَيَتَفَرَّدُ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ.

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُقِرُّونَ بِهَذَا النَّوْعِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(١)، **وَعَطَاءٍ**(٢)، .....

---

(١) أخرجه أحمد في «**فضائل الصحابة**»: ٢/ ٩٥٣ و٩٥٤، رقم (١٨٤٩)، والطبري في «**جامع البيان**»: ١٣/ ٧٧ و٧٨، وابن أبي حاتم في «**تفسيره**»: ٧/ ٢٢٠٧ و٩/ ٣٠٧٩، بإسناد حسن لغيره، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: «مِنْ إِيمَانِهِمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ، وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ، وَمَنْ خَلَقَ الْجِبَالَ؟ قَالُوا: اللهُ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور كما في التفسير من «**السنن**»: ٥/ ٤١١ و٤١٢، رقم (١١٤٦)، والطبري في «**جامع البيان**»: ١٣/ ٧٨، بإسناد صحيح، عَنْ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، قَالَ: «كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ رَبَّهُمْ وَهُوَ خَالِقُهُمْ

وَالضَّحَّاكِ(١) **وَنَحْوِهِمْ**(٢): «أَنَّهُ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَيَعْرِفُونَ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ وَقَهْرَهُ، وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يَعْبُدُونَهُ وَيُخْلِصُونَ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْعِبَادَاتِ: كَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَالذَّبْحِ، وَالنَّذْرِ، وَالدُّعَاءِ وَقْتَ الِاضْطِرَارِ؛ فَكَانُوا يُخْلِصُونَ وَقْتَ الِاضْطِرَارِ، وَيَعْبُدُونَ اللهَ الْعِبَادَةَ الْخَالِصَةَ إِذَا اضْطُرُّوا، فَإِذَا كَشَفَ عَنْهُمُ الضُّرَّ؛ أَشْرَكُوا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ غَيْرَهُ».

النَّبِيُّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ تَعْنِي: صَرْفَ جَمِيعِ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

فَهِمَ الْكُفَّارُ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»!!

فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: يَعْنِي: لَا حَاكِمَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ النِّزَاعَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَاكِمِيَّةِ -كَمَا يَقُولُ الْقُطْبِيُّونَ-!!

=

وَهُوَ رَازِقُهُمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ يُشْرِكُونَ».

(١) أخرجه الطبري في «**جامع البيان**»: ١٣/ ٧٨، من طريق: هُشَيْم، عَنْ جُوَيْبِرٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: «كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ فِي تَلْبِيَتِهِمْ».

وعزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: ٤/ ٤٠ إلىٰ ابن المنذر أيضا.

(٢) وهو أيضا قول مجاهد وعكرمة وقتادة وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم -رحمهم الله-.

وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا مُبْدِعَ إِلَّا اللهُ، أَوْ لَا خَالِقَ إِلَّا اللهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَالُوهُ!!

وَهَذَا كُلُّه انْحِرَافٌ عَنِ الْجَادَّةِ فِي فَهْمِ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَتَرَتَّبَ عَلَيْهِ ضَلَالٌ مُبِينٌ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ/ ١٩-٧-٢٠١٤م.

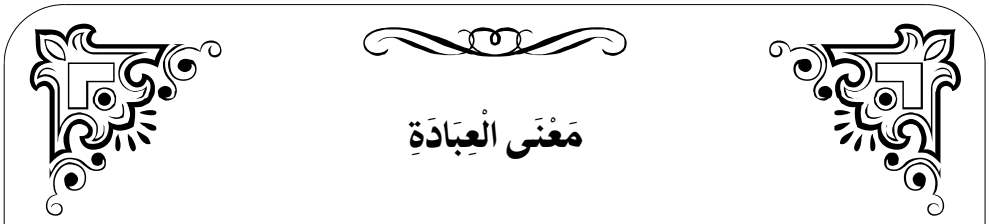

مَعْنَى الْعِبَادَةِ

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ إِصْلَاحَ الْعَقِيدَةِ هُوَ وَظِيفَةُ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ -فِي التَّشْرِيعِ وَمَا حَوْلَهُ- إِنَّمَا يَعُودُ فِي النِّهَايَةِ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْمَرْءُ عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، حَالًا وَفِعَالًا، نُطْقًا وَقَوْلًا؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ عَابِدًا للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ.(*).

الْعِبَادَةُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

إِذَنْ؛ **الْحَيَاةُ كُلُّهَا عِبَادَةٌ**، كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ؛ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.. كُلُّ ذَلِكَ هُوَ الْعِبَادَةُ.

أَمَرَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ نَصْرِفَ ذَلِكَ لَهُ وَحْدَهُ.

إِذَنْ؛ تَنْصَرِفُ الْحَيَاةُ بِجَمِيعِ نَشَاطَاتِهَا مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِذَلِكَ؛ فَلَهُ الْكَمَالُ كُلُّهُ،

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَة ٢٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ/ ٢١-١٠-٢٠١١م.

وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

خَلَقَ وَحْدَهُ، لَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي الْخَلْقِ، وَيَرْزُقُ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي الرِّزْقِ، وَيُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي التَّدْبِيرِ؛ إِذَنْ، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ وَحْدَهُ، وَصَرْفُهَا لِغَيْرِهِ أَظْلَمُ الظُّلْمِ.

فَأَظْلَمُ الظُّلْمِ: الشِّرْكُ، صَرْفُ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ.

فَالْمُشْرِكُ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ، وَالشِّرْكُ هُوَ أَظْلَمُ ظُلْمٍ كَانَ وَيَكُونُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ/ ١٩-٧-٢٠١٤م.

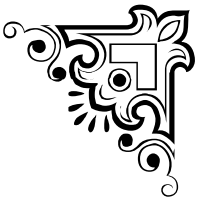

تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ (تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ)

اللهُ جَلَّوَعَلَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ إِلَّا لِصَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، جَاءَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ التَّوْحِيدِ.(*).

أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ دَاعِيًا إِلَىٰ صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ وَحْدَهُ جَلَّوَعَلَا.

الْقَوْمُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَانُوا يُحِبُّونَ اللهَ، وَيُحِبُّونَ مَعَهُ سِوَاهُ!!

الْحُبُّ فِي اللهِ وَللهِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَالْحُبُّ مَعَ اللهِ شِرْكٌ بِاللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فَكَانُوا يُحِبُّونَ مَعَ اللهِ سِوَاهُ، وَلَكِنْ كَانُوا يُحِبُّونَ اللهَ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ مَعَ اللهِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحِبُّونَ فِيهِ أَوْ لَهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَة ٢٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ/ ٢١-١٠-٢٠١١م.

هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ كَانَتْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ: كَانُوا يَحُجُّونَ، وَيَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: «أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَبُّونَ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ؛ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، مَلَكْتَهُ وَمَا مَلَكَ».

فَكَانُوا يُلَبُّونَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُشْرِكُونَ فِي التَّلْبِيَةِ.

هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ جَاءَهُمُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَدَعَاهُمْ إِلَى صَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ، فَفَهِمُوا مُرَادَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَرَبًا خُلَّصًا، وَالْعَرَبِيَّةُ كَانَتْ سَلِيقَتَهُمْ؛ فَفَهِمُوا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

فَقَالُوا: «أَنَدَعُ آلِهَتَنَا الَّتِي نَعْبُدُهَا لِعِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ؟!!: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

إِذَنْ؛ فَهِمُوا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَأَنَّ مَعْنَاهَا: «لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ»، مَعْنَاهَا: «إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ».

الْيَوْمَ؛ سَلْ كَثِيرًا مِمَّنْ يَنْتَصِبُونَ مِنْ أَجْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ -بِزَعْمِهِمْ-، مِنْ أُولَئِكَ الزَّاعِقِينَ النَّاهِقِينَ بِكُلِّ سَبِيلٍ، وَقُلْ لَهُمْ: **مَا مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؟!!**

وَلَنْ يُجِيبَكَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ الْإِجَابَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي عَرَفَهَا الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ.

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لَا مَأْلُوهَ -أَيْ: لَا مَعْبُودَ- بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، عَرَفُوا ذَلِكَ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ.. عَرَفُوهُ، وَأَنْكَرُوهُ وَرَدُّوهُ!! ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ الْيَوْمَ فِي الدِّينِ -فَضْلًا عَنْ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ وَرَاءَهُمْ-، هَؤُلَاءِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»!!

فَمَا قِيمَةُ امْرِئٍ؛ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ يَعْرِفُونَ مِنْ حَقِيقَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ مَا لَا يَعْرِفُ؟!!

لِأَنَّ الدِّينَ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، عَلَىٰ كَلِمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَنَبَّأَ الْأَنْبِيَاءَ.

وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتْ سُوقُ الْجِهَادِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، مِنْ أَجْلِهَا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

وَمِنْ أَجْلِهَا يُقِيمُ السَّاعَةَ، وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، وتَتَطَايَرُ الصُّحُفُ، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ مِنْ أَمَامَ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كُلُّ هَذَا لِأَجْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أَيْ: إِلَّا لِيُوَحِّدُونِي، وَهُوَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، مَبْنِيٌّ عَلَىٰ إِخْلَاصٍ فِي التَّأَلُّهِ للهِ جَلَّوَعَلَا: مِنَ الْمَحَبَّةِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ؛ يَنْبَنِي عَلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَاتِ للهِ جَلَّوَعَلَا مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، فَتُصْرَفُ كُلُّهَا للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يُجْعَلُ فِيهَا شَيْءٌ لِغَيْرِهِ: لَا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا لِنَبِيٍّ مُرْسَلٍ؛ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمَا.

هَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

هَذَا التَّوْحِيدُ -يَعْنِي: تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ، يَعْنِي: تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ-، هُوَ أَوَّلُ الدِّينِ وَآخِرُهُ، وَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ وَآخِرُهَا.

وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ: الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَشْيَةِ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

وَلِأَجْلِ هَذَا التَّوْحِيدِ خُلِقَتِ الْخَلِيقَةُ، وَأُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَبِهِ افْتَرَقَ النَّاسُ إِلَىٰ مُؤْمِنِينَ وَكُفَّارٍ، وَسُعَدَاءَ أَهْلِ جَنَّةٍ، وَأَشْقِيَاءَ أَهْلِ نَارٍ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ.

أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ: هُوَ الْأَمْرُ بِهَذَا التَّوْحِيدِ الْعَظِيمِ: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: هَذَا أَوَّلُ أَمْرٍ فِي الْقُرْآنِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ/ ١٩-٧-٢٠١٤م.

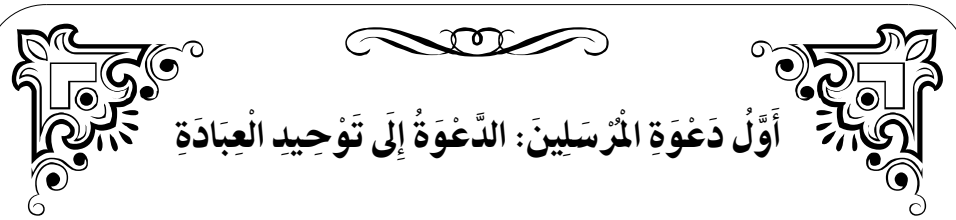

أَوَّلُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ: الدَّعْوَةُ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ الَّذِيْ أَكْرَمَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، مَبْنَاهُ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الَّذِيْ أَرْسَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْعَامُّ، أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٢٣].

فَهَذَا دَعْوَةُ أَوَّلِ رَسُولٍ بَعْدَ حُدُوثِ الشِّرْكِ.

وَقَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وَقَالَ صَالِحٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وَقَالَ شُعَيْبٌ لِقَوْمِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ» - الْجُمُعَة ٢٣ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ/ ٢١-١٠-٢٠١١م.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ -لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ-: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا يَزَلْ عَلَىٰ شِرْكِهِ بَعْدُ -لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ-، فَهَذَا كَانَ فِي فَتْرَةِ الْمُوَادَعَةِ بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ.

---

(١) هذا اللفظ تفرد به البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٣٢، رقم (٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وتمام اللفظ: «...، **وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ**».
وفي رواية للبخاري: ٦/ ١١٠، رقم (٢٩٤٠): «**يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ**».
والحديث أخرجه البخاري أيضا: ٨/ ٢١٤ و٢١٥، رقم (٤٥٥٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٩٣-١٣٩٦، رقم (١٧٧٣)، بلفظ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: «**يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّلَةِ وَالعَفَافِ**»، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ،... الحديث.

هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ دَعْوَةَ الْمُرْسَلِينَ إِنَّمَا هِيَ: «دَعْوَةٌ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ».

وَكَانَ هَذَا وَاضِحًا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ الْمَدْعُوِّينَ إِلَىٰ دِينِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ فَفَهِمُوا الدَّعْوَةَ.

الْيَوْمَ الدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَفْهَمُ الْمَدْعُوُّونَ مِنْهُمْ مَا يَدْعُونَهُمْ إِلَيْهِ؛ يُهَوِّمُونَ بِهِمْ فِي أَوْدِيَةٍ سَحِيقَةٍ، وَفِي ضَلَالَاتٍ عَمِيقَةٍ، وَلَا يَفْهَمُ الْمَدْعُوُّ إِلَامَ يَدْعُوهُ الدَّاعِي!!

أَوَّلُ شَيْءٍ: دَعْوَةٌ إِلَىٰ إِفْرَادِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ -هَذِهِ دَعْوَةُ الرُّسُلِ-، فَلَمْ يَبْدَؤُوا أَقْوَامَهُمْ بِشَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ هَذَا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

لَا بُدَّ مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، هَذِهِ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ فَهِمَهَا الْمُشْرِكُون، كَانَتْ وَاضِحَةً مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، مُنْذُ دَعَاهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَهِمُوا مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ.

وَهَذَا دَلِيلٌ؛ لِأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ لَمَّا يَزَلْ عَلَىٰ شِرْكِهِ لَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ هِرَقْلَ، فَسَأَلَهُ: «إِلَامَ يَدْعُوكُمْ صَاحِبُكُمْ؟».

فَقَالَ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ**».

وَبِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْن»[1]: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٣٢٢، رقم (١٤٥٨) و ١٣/ ٣٤٧، رقم (٧٣٧٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥١، رقم (١٩)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ =

أَرْسَلَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**».

هَذَا التَّوْحِيدُ أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيْكَ، وَآخِرُ وَاجِبٍ عَلَيْكَ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ الْعَبْدُ الْإِسْلَامَ هُوَ هَذَا التَّوْحِيدُ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا؛ قَالَ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١). كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

* * *

=

رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ، قَالَ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ ﷻ** [وفي رواية: **فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ**]،...» الحديث.

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: ٣/ ١٩٠، رقم (٣١١٦)، من حديث: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.
والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٣/ ١٤٩، رقم (٦٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٧٥، رقم (٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٥٣، رقم (٢٢)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

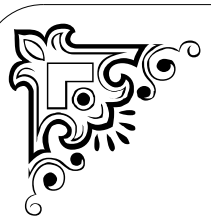

الْقُرْآنُ كُلُّهُ دَاعٍ إِلَى تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ

عِبَادَ اللهِ! لَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الْإِفْصَاحِ، وَأَبْدَأَ فِيهِ وَأَعَادَ، وَضَرَبَ لِذَلِكَ الْأَمْثَالَ؛ بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ فَفِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَىٰ هَذَا التَّوْحِيدِ.

يُسَمَّىٰ هَذَا النَّوْعُ: «تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ»؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَالتَّأَلُّهِ، وَأَشَدِّ الْمَحَبَّةِ للهِ وَحْدَهُ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ.

وَيُسَمَّىٰ بِـ «تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ» لِذَلِكَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١-١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤- ١٥].. إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٨]،

إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٣- ٤٤].

إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤].. إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٤-٦٦]، إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

فَكُلُّ هَذِهِ السُّوَرِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الدُّعَاءِ إِلَىٰ هَذَا التَّوْحِيدِ وَالْأَمْرِ بِهِ، وَالْجَوَابِ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَالْمُعَارَضَاتِ، وَذِكْرِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَمَا أَعَدَّ لِمَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَكُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؛ بَلْ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ هَذَا التَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، مُتَضَمِّنَةٌ لَهُ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ -وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ-؛ فَذَاكَ مُسْتَلْزِمٌ لِهَذَا، مُتَضَمِّنٌ لَهُ.

وَإِمَّا دُعَاءٌ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، أَوْ أَمْرٌ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَنَهْيٌ عَنْ مُخَالَفَاتٍ؛ فَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ مُسْتَلزِمٌ لِلنَّوْعَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مُتَضَمِّنٌ لَهُمَا أَيْضًا.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ.

وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحُلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَىٰ مِنَ الْوَبَالِ؛ فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ(١).

فَأَخْبَرَ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ -وَهِيَ الْأَعْمَالُ-، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ: عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ، وَالْإِخْلَاصِ فِي ذَلِكَ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٤٩، رقم (٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ٤٥، رقم (١٦)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

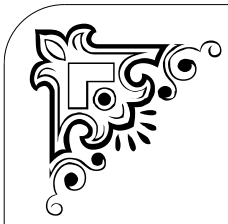

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّىٰ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ مُتَلَازِمَيْنِ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ يَجِبُ إِخْلَاصُهَا للهِ تَعَالَىٰ، فَمَنْ أَشْرَكَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ؛ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

وَمِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ: الْمَحَبَّةُ: مَنْ أَشْرَكَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْمَحَبَّةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ مِنْهَا مَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا للهِ، وَمِنْهَا مَا يَصْلُحُ لِغَيْرِ اللهِ.

أَمَّا «الْمَحَبَّةُ الشَّرْعِيَّةُ»؛ فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ.

وَأَمَّا «الْمَحَبَّةُ الْجِبِلِّيَّةُ الْفِطْرِيَّةُ»؛ فَإِنَّها تَكُونُ لِغَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَيْضًا؛ بِمَعْنَىٰ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ أَبَاهُ، وَيُحِبُّ ابْنَهُ، وَيُحِبُّ أَهْلَهُ، وَيُحِبُّ مَالَهُ وَدَارَهُ وَوَطَنَهُ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْمَحَابِّ.

فَهَذِهِ الْمَحَابُّ مِنَ الْمَحَابِّ الْفِطْرِيَّةِ، وَاللهُ ﷻ لَا يُنَازِعُ الْخَلْقَ فِيهَا، وَلَكِنْ بِشَرْطِ: أَلَّا تَتَقَدَّمَ هَذِهِ الْمَحَابُّ عَلَىٰ مَحَبَّةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

إِذَنْ؛ فَالنِّزَاعُ لَيْسَ فِي (الْحِبِّيَّةِ)، وَإِنَّمَا النِّزَاعُ فِي (الْأَحَبِّيَّةِ)، فَاللهُ ﷻ لَا يُنْكِرُ عَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ أَبَاكَ، وَأَنْ تُحِبَّ امْرَأَتَكَ، وَوَلَدَكَ، وَأَخَاكَ وَأُخْتَكَ، وَأَنْ تُحِبَّ أَرْضَكَ وَدِيَارَكَ وَمَالَكَ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا كُلُّهُ لَا نِزَاعَ فِيهِ؛ بَلْ إِنَّ مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ مَغْرُوسٌ فِي الْفِطْرَةِ، جَعَلَهُ اللهُ جِبِلَّةً فِي الْخَلْقِ، فَهَذَا لَا نِزَاعَ فِيهِ.

النِّزَاعُ فِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَحْبُوبُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ اللهِ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُسَلَّمُ لَكَ.

إِذَنْ؛ فَالنِّزَاعُ فِي الْأَحَبِّيَّةِ، لَا فِي الْحِبِّيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾.. إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٥- ١٦٧].

*** التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَتَصْحِيحُ أَخْطَاءٍ شَائِعَةٍ!!**

مِنَ الْعِبَادَاتِ: التَّوَكُّلُ: فَلَا يُتَوَكَّلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْغَيْرُ: شِرْكٌ أَصْغَرُ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَلَّا يُتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَىٰ اللهِ.

التَّوَكُّلُ عَلَىٰ غَيْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَاشٍ؛ بَلْ إِنَّكَ لَتَسْمَعُهُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْجَهَلَةِ يَقُولُ لَكَ: «أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ اللهِ!!»؛ فَيُثْبِتُ لَكَ تَوَكُّلًا يُقَدِّمُهُ عَلَىٰ تَوَكُّلِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ!!

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ تَنْدِيدًا -أَيْ: إِثْبَاتَ نِدٍّ للهِ- أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ: «**مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ**»؛ فَجَعَلَهُ تَنْدِيدًا؛ فَقَالَ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟**»(١).

فَإِذَا قُلْتَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ»؛ فَهَذَا تَنْدِيدٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا كَذَلِكَ؛ فَكَيْفَ بِالتَّوَكُّلِ؟!!

وَكَيْفَ بِتَقْدِيمِ تَوَكُّلِ الْعَبْدِ عَلَىٰ الْعَبْدِ عَلَىٰ تَوَكُّلِهِ عَلَىٰ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا؟!!

الْأَمْرُ كَبِيرٌ؛ بَلْ كَبِيرٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ؛ مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ مُشْرِكًا عَذَّبَهُ بِالنَّارِ، وَأَبَّدَهُ فِيهَا؛ فَلَا خُرُوجَ لَهُ مِنْهَا أَبَدًا: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ الْعَقِيدَةِ.. فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ؛ خَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، عَلَيْهِ أَنْ يُحَرِّرَهُ.

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: ١/ ٢١٤، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: ص٢٠٤، رقم (٧٨٣)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: ١٢/ ٢٤٤، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
وأخرجه أيضا ابن ماجه في «السنن»: ١/ ٦٨٤، رقم (٢١١٧)، بلفظ: «**إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**».
والحديث حسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: ١/ ٢٦٦، رقم (١٣٩) و٣/ ٨٥، رقم (١٠٩٣).

تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ؛ يَنْبَغِي عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةَ تَحْقِيقٍ، وَأَنْ يَعْتَقِدَهُ، وَأَنْ يُحَوِّلَهُ إِلَىٰ وَاقِعٍ يَعِيشُهُ؛ وَإِلَّا تَوَرَّطَ فِي الشِّرْكِ تَوَرُّطًا -عِيَاذًا بِاللهِ وَلِيَاذًا بِجَنَابِهِ الرَّحِيمِ-.

*** مِنَ الْعِبَادَاتِ -أَيْضًا- الْخَوْفُ:**(*)

*** وَالْخَوْفُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:**

*** النَّوْعُ الْأَوَّلُ**: خَوْفٌ طَبْعِيٌّ غَرِيزِيٌّ: كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبُعِ، وَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّارِ وَالْغَرَقِ؛ هَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

الْخَوْفُ الطَّبْعِيُّ الَّذِي هُوَ مَرْكُوزٌ فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَفِي الْجِبِلَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، هَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨].

لَكِنْ إِذَا كَانَ هَذَا الْخَوْفُ سَبَبًا لِتَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ؛ كَانَ حَرَامًا.

*** النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ: خَوْفُ الْعِبَادَةِ**: أَنْ يَخَافَ أَحَدًا يَتَعَبَّدُ بِالْخَوْفِ لَهُ، أَنْ يَخَافَهُ خَوْفَ عِبَادَةٍ، وَيَتَعَبَّدَ بِالْخَوْفِ لَهُ؛ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا للهِ، وَصَرْفُهُ إِلَىٰ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

*** الثَّالِثُ: خَوْفُ السِّرِّ:**(*/٢)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ/ ١٩-٧-٢٠١٤م.

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ «شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» - الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ» - السَّبْت ٩ مِنْ صَفَر ١٤٢٩هـ/ ١٦-٢-٢٠٠٨م.

فَلَا يُخَافُ خَوْفَ السِّرِّ إِلَّا مِنَ اللهِ.

وَمَعْنَىٰ خَوْفِ السِّرِّ: أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللهِ تَعَالىٰ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ -وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ-، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ اعْتِقَادٌ لِلنَّفْعِ والضُّرِّ فِي غَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

هَلْ هَذَا وَاقِعٌ؟!!

وَاقِعٌ بِكَثْرَةٍ!!

بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يَدَّعِيهِمْ أَوْلِيَاءَ، أَوْ يَعْتَقِدُ فِيهِمُ الْوَلَايَةَ، أَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِالْكَشْفِ -بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَعْرِفُ السِّرَّ وَمَا أَخْفَىٰ الْعَبْدُ فِي ضَمِيرِهِ، أَوْ مَا فَعَلَهُ بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ-.

فَيَقَعُ هَذَا فِي الْمَعْصِيَةِ، يَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ بِعَيْنِ رَبِّهِ؛ لِأَنَّ اللهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ وَلَا يَخَافُ، فَإِذَا خَرَجَ وَوَجَدَ مَنْ يَعْتَقِدُ فِيهِ الْكَشْفَ؛ خَافَهُ خَوْفَ السِّرِّ، وَخَشِيَ أَنْ يَفْضَحَهُ، فَإِذَا رَآهُ مِنْ بَعِيدٍ؛ حَادَ عَنِ الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّهُ يَطَّلِعُ عَلَىٰ سِرِّهِ -بِزَعْمِهِ-، وَسَيُخَاطِبُهُ بِهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَحِيدُ عَنْ طَرِيقِهِ!!

هَذَا خَوْفُ السِّرِّ: أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللهِ تَعَالىٰ أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ -وَإِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ-؛ لِأَنَّهُ اعْتِقَادٌ لِلنَّفْعِ وَالضُّرِّ فِي غَيْرِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، مَعَ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

* **وَمِنَ الْعِبَادَاتِ: الرَّجَاءُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ**؛ كَمَنْ يَدْعُو الْأَمْوَاتَ أَوْ غَيْرَهُمْ، رَاجِيًا حُصُولَ مَطْلُوبِهِ مِنْ جِهَتِهِمْ، فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَمَعْنَىٰ أَنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ: أَنَّهُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وَمِنَ الْعِبَادَاتِ: الصَّلَاةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالسُّجُودُ، وَالرُّكُوعُ.

وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ: سَوَاءٌ كَانَ طَلَبًا لِلشَّفَاعَةِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَطَالِبِ.

* **وَمِنْهَا: الذَّبْحُ، وَمِنْهَا: النَّذْرُ.**

* **وَمِنْهَا: الطَّوَافُ**؛ فَلَا يُطَافُ إِلَّا بِبَيْتِ اللهِ.

وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ؛ فَلَا يُتَابُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ.

بَعْضُهُمْ يُتَوِّبُونَهُ لِغَيْرِ اللهِ، فَيَأْخُذُونَهُ عِنْدَ الضَّرِيحِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْلِقُوا لَهُ شَعْرَهُ؛ فَيَتُوبُ إِلَىٰ الشَّيْخِ.. يَتُوبُ إِلَىٰ الْوَلِيِّ!!

وَالتَّوْبَةُ إِنَّمَا تَكُونُ للهِ وَحْدَهُ!

مِنَ الْعِبَادَاتِ: الِاسْتِعَاذَةُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

فَمَنْ أَشْرَكَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْخَالِقِ تَعَالَىٰ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ أَوْ غَيْرِهَا؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

وَهَذِهِ الْعِبَادَاتُ إِنَّما تُذْكَرُ خَاصَّةً؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عُبَّادِ الْقُبُورِ صَرَفُوهَا لِلْأَمْوَاتِ مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالىٰ، أَوْ أَشْرَكُوا بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وبَيْنَهُمْ فِيهَا؛ وَإِلَّا فَكُلُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.. مَنْ صَرَفَهُ لِغَيْرِ اللهِ، أَوْ شَرَكَ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِيهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء:٣٦].

وَ﴿شَيۡـٔٗا﴾: نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ؛ فَتُفِيدُ الْعُمُومَ.

﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾.

هَذَا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي كَفَّرَ اللهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَأَبَاحَ بِهِ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ؛ وَإِلَّا فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ؛ وَإِنَّمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَاتِ وَنَحْوِهَا.

أَتَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مَعْنَىٰ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَمَضْمُونُهُ: أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ.. لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ.

قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ص: ٥].

كَانُوا يَجْعَلُونَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا للهِ، وَيَجْعَلُونَ لِلْآلِهَةِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَإِذَا صَارَ شَيْءٌ مِنَ الَّذِي للهِ إِلَىٰ الَّذِي لِلْآلِهَةِ؛ تَرَكُوهُ لِلْآلِهَةِ، وَقَالُوا: اللهُ غَنِيٌّ!!

وَإِذَا صَارَ شَيْءٌ مِنَ الَّذِي لِلْآلِهَةِ إِلَىٰ الَّذِي للهِ تَعَالَىٰ رَدُّوهُ، وَقَالُوا: اللهُ غَنِيٌّ، وَالْآلِهَةُ فَقِيرَةٌ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ.. ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

هَذَا بِعَيْنِهِ مَا يَفْعَلُهُ عُبَّادُ الْقُبُورِ؛ بَلْ يَزِيدُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَيَجْعَلُونَ لِلْأَمْوَاتِ نَصِيبًا مِنَ الْأَوْلَادِ!!

أَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْمُتَسَنِّنِينَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنَ الْمُوَحِّدِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» - «الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ» - السَّبْتُ ٢١ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ/ ١٩-٧-٢٠١٤م.

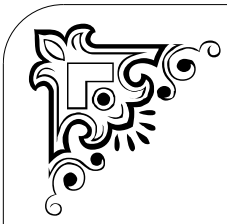

الفِهْرِسُ

* **الْخُطْبَةُ الْأُولَىٰ** ٢

مَعْنَىٰ الْعِبَادَةِ..... ٦

تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ..... ٨

أَوَّلُ دَعْوَةِ الْمُرْسَلِينَ: الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ..... ١٢

الْقُرْآنُ كُلُّهُ دَاعٍ إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ..... ١٦

* **الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ** ١٩

بَعْضُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ..... ١٩

* التَّوَكُّلُ عَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَتَصْحِيحُ أَخْطَاءٍ شَائِعَةٍ!!..... ٢٠

الْفِهْرِسُ..... ٢٧